

محاضرات في مقياس: منهجية البحث  
السنة الأولى دكتوراه علم اجتماع الجريمة و الانحراف  
السداسي الثاني/2020  
أ. دريوش وداد

المحاضرة الأولى : التقنيات الوثائقية (تحليل الوثائق، كيفية توظيف الإحصاءات والبيانات الرسمية والميدانية)

إن الشيء المميز للبحوث السوسيولوجية عموما هو لجوئها المكثف والمنتظم للتقنيات الكمية، سيما مع الاستمارة وبناء الجداول الإحصائية، البسيطة منها والمركبة. وهذا ما يجعل "الوثائق المكتوبة (وكذلك الصور، والأفلام...) مصادر لم يتم استغلالها إلا قليلا في علم الاجتماع، بالمقارنة مع التحقيقات التي تستعمل تقنية الاستمارة، وحتى البحوث التي تقوم على التحقيقات الإثنوغرافية، وعلى الرغم من ذلك، تبقى هذه المصادر ذات ثراء لا يمكن أن ينضب، ويمكن الحصول عليها باللجوء إلى الأرشيف الخاص أو العمومي"<sup>1</sup>. ويمكن أن نشير في هذا الشأن أن الأدبيات والتقاليد السائدة في البحوث السوسيولوجية، سيما في البحوث الميدانية التي غالبا ما تلجأ إلى إقامة مقارنات بين وضعيات اجتماعية مختلفة. وهذا ما جعل المسعى المنهجي القائم على التقنيات الإحصائية والتكميم هو المسعى السائد، خاصة في أقسام علم الاجتماع في الجامعات الجزائرية، اعتقادا من طرف المشتغلين بعلم الاجتماع، عموما، أن اللجوء إلى التقنيات الإحصائية، انطلاقا من تقنية الاستمارة ووصولاً إلى إقامة الجداول الإحصائية، على أنه المسعى العلمي بامتياز، وأنه أحسن ضمانة للموضوعية. وقد نجد تفسيراً كذلك لعدم الاهتمام بالتقنيات الوثائقية من التخوف الذي قد ينشأ لدى هؤلاء الدارسين لعلم الاجتماع نتيجة عدم التحكم فيها لغياب أو قلة استعمالها. ومهما يكن من أمر فإن التقنيات الوثائقية هي تقنيات لا يمكن الاستغناء عنها في البحوث السوسيولوجية لما لها من ثراء في الأنظمة التفسيرية للظواهر الاجتماعية.

ونحاول فيما يأتي أن نتعرض إلى هذه التقنيات الوثائقية من خلال تحديد كفاءات تجسيدها على المستوى الملموس، ثم نعود إلى تطبيقاتها انطلاقاً من تحليل الوثائق، وكيفية توظيفها، وإن ضمت معطيات وبيانات إحصائية. وكذلك كيفية استعمالها عندما تكون المعطيات المحصل عليها، معطيات ميدانية.

1 - Mendras Henri, Oberti Marco, *Le Sociologue et son terrain*, Paris, Armand Colin, Her, 2000, p. 111.

## المحاضرة الثانية:

كيفية تجسيد التقنيات الوثائقية و توظيف الإحصاءات والبيانات الرسمية والميدانية في علم الاجتماع

### 1- كيفية تجسيد التقنيات الوثائقية

يحلينا هذا العنوان الفرعي إلى ما يعرف في منهجية علم الاجتماع باستعراض الأدبيات أو الاستناد إلى الوثائق والرجوع إليها في البحث السوسيولوجي. لقد أشرنا سابقا إلى انعدام أو قلة التعامل مع التقنيات الوثائقية في البحوث السوسيولوجية في أقسام علم الاجتماع في الجزائر، وهذا راجع إلى الكيفيات التي يتم بها التعامل مع الأدبيات المخصصة للظواهر الاجتماعية والمواضيع التي ينوي الطلبة تقديمها للحصول على شهاداتهم الجامعية من خلالها. إذ أن القيمة العلمية السوسيولوجية لأي بحث سوسيولوجي تكون من خلال نوعية الوثائق التي تم الاعتماد عليها والتعامل معها وبأي كيفية. فإننا نستشف البحث الجيد والمقبول سوسيولوجيا وذلك بالرجوع إلى قائمة المراجع التي تم تقديمها، وكيفية توظيف هذه المراجع، في الاتجاه الذي يجد العلاقة الوطيدة مع موضوع الدراسة.

في هذا المستوى نجد عنصرا أساسيا طالما يتم إهماله، ويتعلق الأمر بجهد القراءة الذي يتعين على الدارس والباحث في علم الاجتماع أن يقوم به، ولن يستغني عنه وضرورة أن يلازمه إلى غاية نهاية البحث. هذه هي إذا أول خطوة أساسية يلزم على الباحث القيام بها في تعامله مع التقنيات الوثائقية. فقراءة الوثائق شرط أساسي لبداية ممارسة العمل على التقنيات الوثائقية. ولكن، في هذا المستوى المنهجي تطرح أسئلة تتعلق بما يجب قراءته وكيف تتم قراءته: "يتعلق الأمر إذن بأن نتعلم القراءة في إطار بحث ما. ولا يبدو الأمر بسيطا كما قد نعتقد، بحيث يكون المشكل مزدوجا: ماذا نقرأ؟ و"كيف نقرأ"؟ يتعين علينا أن نتعلم كيف نضع ببليوغرافيا لها علاقة بمشروع البحث"<sup>2</sup>، فجهود القراءة لا غنى عنه في استعمال التقنيات الوثائقية. أما بخصوص المشكلة المزدوجة التي يواجهها الباحث والمتعلقة بماذا نقرأ وبكيفية القراءة. فنجد لها إجابة من خلال قراءة الوثائق التي لها علاقة بالموضوع الذي نريد دراسته. ويمكن هنا للأستاذ المشرف أن يساعد في تقديم الوثائق المتعلقة بالموضوع من خلال عرض قائمة من المراجع الخاصة بالموضوع: "يمكن أن نبدأ في بادئ الأمر بقراءة الأعمال الحديثة أكثر حول مسألة ما، ثم نهتم بالمراجع المستعملة عادة بخصوص هذا الموضوع، ثم نصعد تدريجيا إلى الأعمال والبحوث الرئيسية المتعلقة بهذا الموضوع. وفي هذا المستوى يمكن لتوجيهات الأستاذ المشرف ونصائحه أن تكون ذات أهمية"<sup>3</sup>. وهنا نلح على ضرورة جهد القراءة مرة أخرى، الذي كثيرا ما يهمله المنشغلون بعلم الاجتماع، سيما الطلبة، و يهمله حتى الأساتذة، عندما يركزون على الخطوات الرئيسية

2 - Herzlich Claudine, *Réussir sa thèse en sciences sociales*, Paris, Nathan Université, 2002, p. 64.

3 - Ibid, p. 64.

في منهجية البحث السوسولوجي، ولا يتعرضون إلى جهد القراءة التي تعتبر العمود الفقري في البحث العلمي! أما الجانب الثاني المتعلق بجهد القراءة، فيتعلق بكيفية القراءة ذاتها. وهنا غالبا ما تظهر صعوبات وردود فعل عادة ما تؤدي إلى النفور من هذه القراءة. مما تجدر الإشارة إليه هنا هو عدم وجود وصفات جاهزة يمكن الاستعانة بها، كما يصعب أيضا تقديم نصائح في اتجاه معين تؤدي إلى تثمين جهد القراءة: "لكن، الصعوبة الحقيقية هي بالأحرى معرفة كيف نقرأ، وفي هذا الإطار، فإن النصائح تكون أكثر صعوبة. وإنني لن أقدم إلا نصيحة واحدة: تجنب القراءة السطحية التي تهدف فقط إلى استيعاب فكر المؤلف. بل يتعين علينا، على العكس من ذلك، أن نقرأ 'بشراهة': أي من خلال مساءلة كل مرحلة من الاستدلال من خلال عملية مواجهة ذهنية للمسعى الذي يتبناه المؤلف وأساليب التناول، ومواجهة كذلك الأفكار المطروحة بخصوص المشكلة التي نحن بصدد الاهتمام بها وما جاء به الآخرون. إن هذا الجهد الذي نقر بصعوبته هو كفيل بأن يسمح بالتحكم بما فيه الكفاية في القراءة التي سيتم استغلالها في البحث"<sup>4</sup>.

ويمكن لكيفية القراءة هذه أن تترجم عمليا في إجراءات من شأنها أن تسمح بالاستيعاب الجيد لما تم قراءته، والاحتفاظ بما له علاقة بموضوع البحث وهذا في حد ذاته بمثابة أول مستوى لتحليل الوثائق وذلك بالاعتماد على طريقة القراءة القائمة على وضع ملخص لما تم قراءته، أو وضع بطاقة قراءة تركيبية لمحتوى المؤلف: "هناك شبه إجماع من طرف المهتمين بمنهجية البحث العلمي على ضرورة الاحتفاظ بالأفكار الأساسية التي لها علاقة بأهداف الدراسة وبمشكلة البحث من استعراض الأدبيات والقراءة عن طريق تسجيلها حتى لا تضيع، ويبدو أن بطاقات القراءة والملخصات هي أدوات مفضلة أكثر حسب هؤلاء المهتمين بعملية الاحتفاظ بذلك"<sup>5</sup>. وتتضمن بطاقة القراءة ما هو مهم وأساسي في المؤلف الذي تم التطرق إليه: "تسمح بطاقة القراءة إذن بعرض الأهم والأساسي من الوثيقة، بكيفية يحافظ بها المتعاطي لفعل قراءتها على الأفكار الرئيسية التي تضمنتها الوثيقة مهما كانت طبيعتها. إنها نوع من مادة مركزة أو جوهر لما جاءت به هذه الوثيقة والذي يجب إبرازه"<sup>6</sup>.

## 2- كيفية توظيف الإحصاءات والبيانات الرسمية والميدانية في علم الاجتماع

ننطلق في هذه النقطة على التأكيد مرة أخرى على أنه مهما كانت طبيعة الموضوع الذي يشتغل حوله الباحث، فمن غير الممكن أن يقتصد في جهد البحث البيبليوغرافي والوثائقي. بحيث ليس هناك بحث لا يعتمد على وثائق أو مصادر متنوعة وأن العودة إلى الوثائق في علم الاجتماع لهو ذو أهمية بالغة ويجب

4 - Ibid, p. 65.

5- سيعون سعيد، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع، الجزائر، دار القصبية للنشر، 2012، ص. 52.

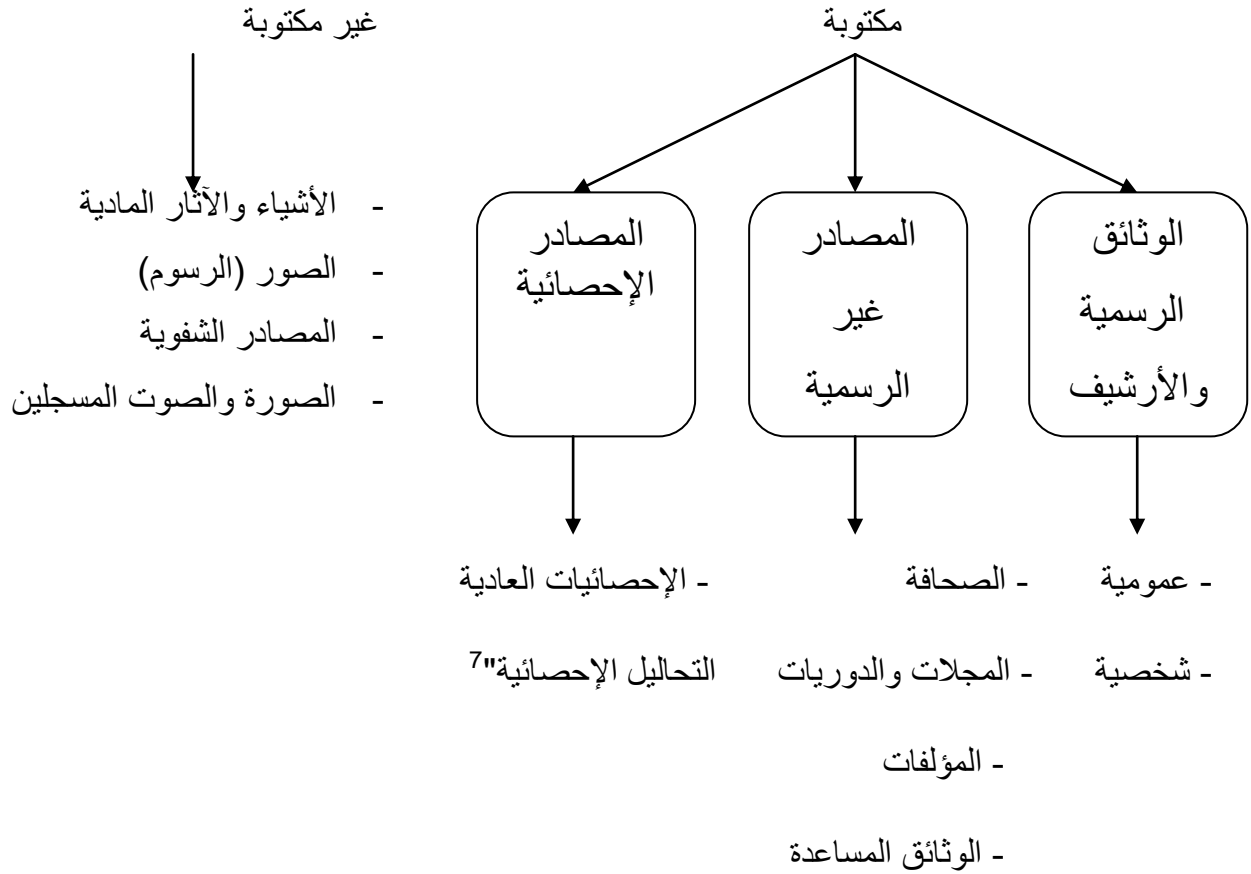
6- نفس المرجع، ص. 53.

أن يكون بمثابة انشغال حاضر في ذهن الباحث وممارساته البحثية. وهذا الانشغال لا بد أن يكون بمثابة نقطة مركزية يعتمد عليها موضوع البحث، إذ أن البحث الوثائقي هو الذي من شأنه أن ينشط عزم الباحث على مواصلة مسار البحث، من خلال إعطاء أرضية متينة للبحث وتعزيز الجانب النظري، ووضع إشكالية مبنية على أساس إسهامات نظرية عديدة ومتعددة، ولا تكون إشكالية سطحية، ومعرفة الطابع المميز والجديد يمكننا القول لموضوع البحث، وأساسا تحديد وجهة مشكلة البحث تحديدا دقيقا يبتعد عن التذبذب والتشتت.

هذه كلها مسوغات ومبررات ضرورة الاعتماد على البحث الوثائقي. ولكن السؤال الذي يتعين علينا أن نطرحه يتعلق بكيفية توظيف مختلف الوثائق التي يستند إليها البحث السوسولوجي عموما، وهذا ما يقودنا إلى الرجوع إلى المصادر الوثائقية التي يجدها الباحث في طريقه نحو دراسة الظاهرة. وعلى العموم يمكننا أن نشير إلى وجود عدد معين من المصادر الوثائقية يمكن أن نجعلها في المصادر غير المكتوبة، والمصادر المكتوبة الرسمية، والمصادر المكتوبة غير الرسمية، والمصادر الإحصائية. ويمكننا أن نقدم هذا الشكل التوضيحي لهذه المصادر، علنا بذلك نقدم صورة واضحة وشاملة ومساعدة في نفس الوقت في اتجاه تمنح الباحث فكرة أساسية عن البحث الوثائقي، ومن شأنها أن توفر عليه الوقت والجهد عندما توجهه مباشرة إلى هذه المصادر التي من شأنها أن تساعد على إيجاد الوثائق اللازمة والمفيدة لبحثه.

## المصادر الوثائقية

### المصادر



من هذا الشكل التوضيحي – وإن كان هناك إمكانية وجود مصادر أخرى – نستطيع أن نكون فكرة حول الوثائق التي يمكن للباحث أن يستعين بها في بحثه. وسوف يتم التركيز أساساً على البيانات الرسمية المكتوبة والمصادر الإحصائية، والبيانات الميدانية.

### المحاضرة الثالثة

#### 1- البيانات الإحصائية

عادة ومراراً ما يلجأ الباحث السوسيولوجي، إلى توظيف الإحصائيات والاستناد إليها في مرحلة ما من مراحل البحث الميداني أساساً. وعادة ما تترك الإحصائيات أنها "ملحق ثمين للعلوم الاجتماعية، حيث تمنح إمكانية تعويض مجرد الانطباع بعنصر الدقة"<sup>8</sup>. وعادة ما يلجأ الباحث إلى الإحصائيات

<sup>7</sup> - De Saint. George Pierre, « Recherche et critique des sources de documentations dans les domaines économique, sociale et politique », in *Pratique et méthodes de recherche en sciences sociales*, ouvrage collectif sous la direction de Aabaerello Luc et al., Paris, Armand Colin, 1995, p. 11.

<sup>8</sup> - Grawitz Madeleine, *Méthodes des sciences sociales*, 11ème édition, Paris, Dalloz, 2001, p. 396.

للتعبير عن مدى تواتر الظاهرة وتكرارها. وهذا ما قد يعطيها وضوحا اجتماعيا موضوعيا. إن الإحصائيات بمثابة وسيلة قياس يلجأ إليها علم الاجتماع في محاولة أولى منه لتشخيص الظاهرة محل الدراسة، وذلك من خلال عملية عد وحساب بسيط للظواهر وقياس تكرارها: "فالإحصائيات في شكلها البسيط تعني حساب بعض الظواهر: عدد الولادات، عدد الوفيات، إلخ، كما أنها تعطي نتائج دقيقة وصحيحة"<sup>9</sup>. مع الإحصاء يدرج الباحث دراسته في نظام القياسات الممكنة. مع الإشارة إلى وجود هيئات مختصة لهذا العمل الإحصائي - ففي الجزائر مثلا لدينا الديوان الوطني للإحصائيات، الذي يسعى إلى جمع معطيات إحصائية حول ظواهر معينة، يتم نشرها بصفة دورية في نشرات خاصة - يمكن للباحث أن يستعين بها ويجعلها مادة، يحاول أن يشخص بها الظاهرة التي يأخذها بالدراسة. وهذا ما لجأ إليه إميل دوركايم في دراسته المشهورة الانتحار الذي وظف فيها الإحصائيات المحصل عليها من مصالح الشرطة والمصالح الطبية - المستشفيات - من أجل محاولة إيجاد تفسيرات سوسولوجية عن تكرارها وتواترها

إن الواقع الاجتماعي في كل أبعاده - السياسية، الاقتصادية، الثقافية والاجتماعية يحفل ويعج بالمعطيات الإحصائية. وكثيرة هي البحوث الاجتماعية التي توظف الإحصائيات كمصادر بيانات ومعلومات ذات أهمية وعلى العموم هناك ثلاثة ميادين أساسية في الإحصائيات وهي: "الإحصائيات العادية، التحاليل الإحصائية، البيانات الناتجة عن الدراسات السابقة"<sup>10</sup>. أما الإحصائيات العادية فإنها "تقدم لنا المعطيات الأساسية المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لبلد ما (أو لمنطقة، أو لجهة، أو لدائرة أو بلدية) حسب ميادين وخلال فترة معروفة ومنظمة (أسبوعية، شهرية، خلال ثلاثة أشهر، أو ستة أشهر أم سنوية) وتكون وصفية أساسا"<sup>11</sup>.

أما التحاليل الإحصائية فإنها "تتجاوز العرض الوصفي المميز للإحصائيات العادية، حيث تمنحنا بيانات إحصائية معالجة. ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا أننا نتواجد في حدود المعطى الإحصائي (باعتباره مصدرا وثائقيا) والدراسة لأن التحاليل الإحصائية تسعى إلى تأويل المعطيات الأولية بدلالة الفرضيات الخاصة بها... ويمكن أن نحصل على هذه التحاليل الإحصائية من هيئات تقوم بإصدارها بانتظام (على غرار مراكز البحث ومكاتب الدراسات وتنظيمات أرباب العمل والتنظيمات النقابية"<sup>12</sup>.

وهناك أيضا المعطيات الإحصائية الناتجة عن البحوث والدراسات السابقة حيث تعتبر بمثابة "الميدان الثالث الكبير للمصادر الرقمية الذي يتكون من الدراسات والبحوث الأصلية التي كانت محل إصدار.

<sup>9</sup> - Ibid, p. 397.

<sup>10</sup> - De Saint George Pierre, op. cit, p. 17.

<sup>11</sup> - Ibid, p. 17-18.

<sup>12</sup> - Ibid, p. 18.

بالفعل، فإن الإحصائيات العادية والتحليل الإحصائية التي تم الحصول عليها لا تؤدي إلى استنفاد مختلف أبعاد الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لبلد أو لمجموعة بشرية ما. إذ في كثير من الأحيان، هناك نقص أو غياب في هذه المعطيات. ومن هنا كانت الضرورة إلى 'التوجه إلى الميدان' لنشاهد كيف تسير الأمور أو تتقدم. فهذه الدراسات، وهذه البحوث الكمية... وهذه الاسبار\* من كل نوع هي ولحسن الحظ محل إصدارات وتصبح بذلك مصدرا إضافيا للمعطيات الرقمية"<sup>13</sup>.

ومهما يكن من أمر، فإن الإحصائيات ضرورية إلى حد بعيد في الدراسات الميدانية في علم الاجتماع. ومهما كانت الكيفية التي تم بها الحصول عليها، "فإن الإحصائيات غير كافية، لأنها لا تعبر عن تعقد الواقع"<sup>14</sup>. وعلينا ألا نجعل من الإحصائيات مبررا للدفع بالنتائج وتقديمها على أنها الترجمة الفعلية لما هو موجود في الواقع بحجة موضوعية إجراءات جمع المعلومة الإحصائية وهذا ما يجعل "من الإحصائيات في غالب الأحيان حجة، حيث يتم إعطاء نتائج انطلاقا منها وتجنب بذلك البحث عن التفسير"<sup>15</sup> السوسيولوجي الذي لا يجب أن يحجبه بريق العرض الإحصائي مهما كان، لأن الظاهرة الاجتماعية تحتاج دائما إلى التفسير نظرا إلى خاصية التعقيد التي تتميز بها، والتي لا تجعلها تختزل في مجرد عروض إحصائية ومعادلات حسابية مهما كانت دقتها. وتبقى الإحصائيات أداة هامة في تقديم بيانات ومعطيات عن الظاهرة محل الدراسة، حيث أنها تساهم في تعزيز وضوحها الاجتماعي عن طريق ما تمنحه لها من تكرار وتواتر ولكنها ليست لها القدرة السوسيولوجية على تفسير الظاهرة تفسيراً سوسيولوجياً!

أما عن كيفية الحصول على البيانات الإحصائية فقد أشرنا إلى الهيئات الحكومية مثل الديوان الوطني للإحصائيات، وكذلك الوزارات سيما مع مصالح التوثيق التابعة لها. وكذلك لدى هيئات مثل المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي. وفي مراكز البحث على غرار مركز البحث في الاقتصاد المطبق على التنمية (CREAD)، وهيئات حكومية أخرى مثل سجلات الولاية أو الدائرة أو البلدية أو مديريات مسح الأراضي، إلخ.

<sup>13</sup> - Ibid, p. 18.

<sup>14</sup> - Grawitz Madeleine, op. cit, p. 397.

<sup>15</sup> - Ibid, p. 18.

## المحاضرة الرابعة:

### 1- شروط تصميم الاستمارة و كيفية القيام بالمقابلة في علم الاجتماع

#### 1- 1- شروط تصميم الاستمارة

إن الاستمارة لا يتم بناؤها بصفة عشوائية اعتباطية من دون ضوابط ابستمولوجية ومنهجية، حيث أن تصميمها يخضع إلى جملة شروط معينة حتى نضمن أكثر مصداقية لها وللمسعى العلمي كله. ومن الناحية العملية، فإن تصميم استمارة باحترام شروط صياغتها وإتباعها من شأنه أن يضمن تجاوب المبحوثين بصفة إيجابية مع البحث وذلك من خلال أولاً قبول المشاركة في البحث، ثم ملء الاستمارات وعدم إرجاعها فارغة. وهنا تظهر قدرة الباحث ومهارته في معرفته كيف يستدرج المبحوث ليتجاوب بصفة فعالة مع البحث ويولي اهتماماً لوثيقة الأسئلة التي يقدمها له. وإذا كان الباحث في علم الاجتماع يسعى إلى جعل المبحوث يهتم ببحثه ويجيب عن أسئلة استمارته، فأولى له - أي هذا الباحث - أن يهتم هو نفسه باستمارة بحثه، ويعرف الشروط اللازمة لصياغتها. لهذا الغرض، فإن "بناء استمارة ذات مصداقية ومقبولاً يتطلب انتباهاً ودقة كبيرين، حيث يخضع هذا البناء قبل كل شيء إلى 'الفن' و'الحرفة' أي إلى مهارات، وإلى مبادئ نظرية"<sup>16</sup>. ونلح مرة أخرى على أهمية القراءات والمطالعات السوسولوجية لاكتساب هذا الفن وهذه المهارة في تسيير استمارة البحث السوسولوجي، هذا الفن وهذه المهارة يتطلبان أيضاً تكويناً لا غنى عنه من طرف الباحث، حيث يتداخل في تصميم الاستمارة مستويات عملية ونظرية يؤدي تفاعلها الإيجابي والواعي إلى صياغة استمارة من شأنها أن تضمن أكبر قدر من الإجابات والاستجابات من طرف المبحوثين وتقلل من عدم التجاوب أو رفض الإجابات، لذلك فإن "تصميم الاستمارة... هي مرحلة أساسية في كل بحث كمي، وهو (أي التصميم) بمثابة تنويع التفكير السابق فيما يخص حقل الاهتمام، وبالهدف النوعي للدراسة، أو بالإطار النظري والفرضيات، إن الاستمارة عبارة عن نقطة الوصول من طرف التفكير النظري، لكن هو أيضاً نقطة انطلاق الملاحظة الامبريقية التي تأتي لاحقاً"<sup>17</sup>.

هناك إذا تداخل بين المستويات النظرية والعملية في تصميم الاستمارة التي يتعين أن يكون الباحث في علم الاجتماع على دراية بها. وهذا ما يجعل الاستمارة تدرج ضمن الطرح السوسولوجي الذي يضمه الإلمام والاطلاع النظري للتراث السوسولوجي. فعلى سبيل المثال لا تكون الاستمارة في بحوث علم

16 - Berthier Nicole, *Les techniques d'enquête en sciences sociales, Méthodes et exercices corrigés*, Paris, Armand Colin, Collection « cursus », série « « Travaux dirigés » 1998, p. 67.

17 - Albarello Luc, *Apprendre à chercher. L'acteur social et la recherche scientifique*, Paris, Bruxelles, De Boeck et Larcier, 1999, p. 90.



الاجتماع الجريمة ناجعة ومقبولة إذا لم يكن من يريد اللجوء إليها والعمل بها ملما بأهم النظريات لعلم الاجتماع الجريمة

أما من حيث الترجمة العملية لشروط تصميم الاستمارة، فنجد عموماً أن كتب المنهجية ومؤلفاتها تضع جانبين لهذه الشروط، ويتعلق الأول بشروط تخص الشكل، أما الثاني فيخص المحتوى.

## 1-2- كيف يتم القيام بالمقابلة في علم الاجتماع ؟

هناك شروط يتعين على الباحث أن يلتزم بها من أجل ضمان السير الجيد للمقابلة. إذ لا ننسى أن المقابلة عبارة عن علاقة مباشرة تتم وجهاً لوجه بين الباحث والمبحوث ضمن تفاعل اجتماعي في فضاء ملائم لذلك. وحتى تجرى هذه المقابلة وتصل إلى هدفها الأساسي ألا وهو حصول الباحث على البيانات اللازمة من أجل اختبار الفرضيات يتعين على الباحث أساساً أن يعرف كيف يتقدم إلى المبحوث، على اعتبار أنه هو من طلب مساعدة المبحوث ومساهمته. فأول ما يقوم به الباحث هو أن يتوجه إلى المبحوث مرفقاً بدليل المقابلة الذي يضم مجموعة من الأسئلة التوجيهية تتعلق بمحاور الفرضية. وتتقدم هذه الأسئلة في مجموعة مؤشرات تخص متغيرات الفرضيات. وتتميز هذه الأسئلة بطابعها الحر الذي يسمح للمبحوث بالإدلاء برأيه حول جوانب الظاهرة محل الدراسة: "إن دليل المقابلة يضم الأسئلة الحرة التي يطرحها الباحث على المبحوث وتضم مواضيع تخص الظاهرة محل الدراسة. هذه المواضيع هي بمثابة مؤشرات لمفاهيم أو متغيرات الفرضيات. إن الأساس هو نفسه سواء في الاستمارة أو في المقابلة، حيث لا يتم طرح أسئلة على المبحوثين تحمل عبارات لا يفهما"<sup>18</sup>. ويمكننا أن نعرف دليل المقابلة بأنه "الأداة التي تركز عليها مقابلة البحث، ويتضمن كل الأسئلة التي يحتمل طرحها أثناء مقابلة الشخص المستجوب. إنه يحتوي أيضاً على كل ما نريد معرفته تماشياً مع تحديد مشكلة البحث. يحضر مخطط دليل المقابلة من خلال أسئلة وأسئلة فرعية، مفتوحة وقائمة على أساس التحليل المفهومي الذي تم إجراؤه في المرحلة الأولى والمرتبة بشكل معين. ينبغي أن تظهر معلومات دقيقة في بداية المخطط أو الدليل، إضافة إلى ضرورة تحريرنا لنص تقديم المقابلة"<sup>19</sup>. فالدليل الذي يعرضه الباحث على المبحوث ليس مجرد وثيقة أسئلة يتم وضعها بكيفية اعتباطية، بل هو عبارة عن إطار مبني يدمج بين مستوى نظري من خلال إجراء بناء المفاهيم أو المتغيرات وكذلك الجانب العملي المتمثل في كيفية إقامة المقابلة، ونلح هنا مرة أخرى على أهمية المرحلة الاستطلاعية والاستكشافية ومرحلة استعراض الأدبيات. وكلاهما تزود الباحث بالمعلومات اللازمة التي تساعد في بناء المقابلة.

18- سبعون سعيد، مرجع سبق ذكره، ص. 177.

19- أنجرس موريس، مرجع سبق ذكره، ص. 263.

ها هو دليل المقابلة جاهز، كيف تسير المقابلة عمليا إذن بين الباحث والمبحوث. على العموم هناك نصائح عامة عادة ما تستعرضها كتب المنهجية لأنه من غير الممكن أن نضع قواعد قارة وثابتة صالحة ومنظمة لكل الحالات وفي كل الظروف لأن الأمر يتعلق بعلاقة وتفاعل اجتماعي إنساني بين شخصين ضمن سياق معين، فمن هذه النصائح نجد هناك ما يتعلق بضرورة منح المبحوث الحرية التامة – المقيدة طبعا بأهداف الدراسة – للإدلاء بآرائه حول ما جاء به السؤال المفتوح، ويحاول الباحث أن يجعل المبحوث في وضع مريح اجتماعيا ونفسيا من خلال إبعاده عن كل ما من شأنه أن يمثل مؤثرا سلبيا في حركية المقابلة. فلعاملي الزمان والمكان الذي يتعين على الباحث أن يختارهما بعناية وبدقة كبيرتين لأجل ضمان مساهمة فعالة من طرف المبحوث أهمية بالغة. كذلك يجب على الباحث أن يبدي اهتماما بما يقوله المبحوث ويحاول أن يجعله يعتقد أن ما يقوله يكتسي أهمية. وكذلك يسعى الباحث أن يقلل من المسافة سواء الاجتماعية أو المؤسساتية بينه وبين المبحوث، سواء من حيث الجوانب المتعلقة بالشكل من هيئة أو لباس، أو من حيث الفرق الثقافي بينهما الذي يحاول الباحث أن يزيحه من معادلة الحوار بينه وبين المبحوث، من خلال السعي إلى تثمين ما يقوله المبحوث لكن من دون أن يجعله يتموقع في هذا الاتجاه للإجابة أو ذاك. لذلك فإن العبارات التي تصاغ بها الأسئلة وتوجه إلى المبحوث مباشرة لابد أن تكون مصاغة وتم اختيارها بعناية كبيرة "أن يختار الباحث في صياغة أسئلته عبارات تجعل المبحوث يعتقد أن رأيه يكتسي أهمية بالنسبة إلى المبحوث مثل: أريد أن تحدثني الآن عن... وكذلك ما الذي يعنيه (أو يمثله) بالنسبة إليك كذا أو ذاك..."<sup>20</sup>. وفي ظل هذا الاهتمام من طرف الباحث للمبحوث من خلال ما يدلي به من آراء، فإنه يتعين عليه أن يكون متابعًا بعناية لهذه الإجابات من طرف المبحوث مما يجعله يعرف متى بدأ المبحوث ينحرف عن أهداف السؤال المفتوح الذي طرح عليه وهنا يقوم الباحث بما يعرف بإعادة الانطلاق (la relance) قصد إرجاع المبحوث إلى خيط الإجابة التي لها علاقة بالسؤال المطروح عليه في إعادة الانطلاق هذه يسعى الباحث إلى الحصول على إضافات وتوضيحات حول مسألة ما لها علاقة بهدف السؤال. في المقابلات، خاصة في وقتنا الحالي الذي يتميز بوجود أدوات تصوير وتسجيل قوية تسمح بإعادة إنتاج سياقات وحيثيات المقابلات، فمن الأفضل استغلالها. طبعا يتطلب ذلك الحصول على موافقة المبحوث. وهنا تلعب قدرات إقناع الباحث والمسائل المتعلقة بأخلاقيات البحث دورا معتبرا في حذف آليات دفاع المبحوث وتردداته. فافتقاره بأهمية هذا البحث وتثمين أقواله قد يساعد في قبوله التسجيل الصوتي وحتى المرئي (الآن) وهذا ما يسهل على الباحث عملية تفرغ المقابلات وتحليلها ويتفرغ لها تماما، عكس الحالة التي يكون فيها مضطرا إلى طرح الأسئلة ومحاورة المبحوث والتسجيل الكتابي الذي قد تقوت عليه معلومات هامة ويجعله ذلك مركزا على ملء ما يقوله المبحوث وعدم الإصغاء فعلا له.

20- سبعون سعيد، مرجع سبق ذكره، ص. 179.

كما أن لعنصر الثقة دور هام في المقابلة. لذلك يسعى الباحث إلى كسب ثقة المبحوث وجعله في ظروف مهيأة لقبول المقابلة والمشاركة فيها والمساهمة بإدلاء رأيه بكل ثقة. فلا يتصرف الباحث انطلاقاً من نظرة احتقار أو تعالي أو ازدراء للمبحوث سواء كان ذلك بالتفكير أو بالحركات والتصرفات. فحسن التعامل والتواضع هنا مطلوبين من طرف الباحث الذي هو في حاجة إلى المبحوث وهو الذي قصده، وليس العكس. في هذا الإطار فإنه إذا كان يتعين على الباحث أن يبدأ المقابلة باستعدادات جيدة، فإنه يتلزم عليه أيضاً أن ينهيها بصفة جيدة كذلك: "إنه لمن المهم أن نراعي كيفية الانتهاء من مقابلة البحث. فمن جهة، وإذا ما نجحنا نسبياً في إثارة جو الألفة والمودة الخاص بالحوار المعمق، يكون الشخص المستجوب بحاجة إلى الشعور أنه لا يترك هكذا فجأة دون مراعاة للشهادة التي أراد تقديمها... زيادة على الاعتراف بالجميل من خلال شكرنا له، إذ لا بد ألا ننسى أن الشخص المستجوب هو الذي قدم لنا خدمة، وليس العكس، علينا أن نحضره للذهاب، ويمكن إعلامه بذلك مسبقاً بقيامنا ببعض الحركات دون أن نتكلم والتي تجعله يعرف ذلك (مثلاً نقلب ببطء مخطط أو دليل المقابلة، نرفع الحقيبة)، وبهذه الطريقة يرى المستجوب أن المقابلة قد انتهت"<sup>21</sup>.

---

21- أنجرس موريس، مرجع سبق ذكره، ص. 181.